ح. حركة عبد الله بن الزبير :

تنسب هذه الحركة إلى عبد الله بن الزبير أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة إلى المدينة[١] ، من أسرة كريمة عريقة النسب ، فوالده الزبير بن العوام القرشي أحد السابقين بدعوة الرسول ﷺ ، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجدته لأبيه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ ، وعمة أبيه خديجة بنت خويلد أم المؤمنين (رضي الله عنها) ، وخالته عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها)[٢] ، ولأن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنها) لم يكن لها ولد فقد تبنت تربيته في بيت الرسول ﷺ وأصبح كأنه ابنها حتى كانت تكنى أم عبد الله[٣] .

نشأ عبد الله بن الزبير في المدينة وتلقى فيها علومه ومعارفه حتى أصبح فيما بعد من كبار الشخصيات في قريش التي لاقت شهرة في التاريخ الإسلامي ، واستمر مقيماً في المدينة حتى وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة (٦٠هـ/ ٦٧٩م) ، فارتحل إلى مكة وظل فيها حتى خروج الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق وما تبع ذلك من أحداث انتهت باستشهاده سنة (٦١هـ/ ٦٨٠م)[٤] .

بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام قام ابن الزبير في أهل مكة خطيباً وعظم مقتله وعاب على أهل الكوفة خاصة وأهل العراق عامة[٥] ، كما ندد بسياسة الدولة الأموية التي انتهت إلى تلك المأساة ، فسار إليه أصحابه من أهل

---

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج٢٨ ، ص١٤٠ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٣٧.

(٢) النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف (ت٦٧٦هـ) ، تهذيب الأسماء واللغات ، دار الكتب العلمية ، (بيروت – بلات) ، ج١ ، ص٢٦٦ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج٣ ، ص٣٦٣ .

(٣) الذهبي ، سير اعلام البنلاء ، ج٣ ، ص٣٦٣-٣٦٥ ؛ شلبي ، الدولة الأموي ، ص٢١٦ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٥٦ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٣٧.

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٤ .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

مكة وقالوا : اظهر بيعتك فإنه لم يبق أحد ينازعك في هذا الأمر[١] ، فخلع الطاعة ليزيد ودعاهم إلى بيعته فبايعوه جميعاً وامتنع عن بيعته عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية ، وبذلك علا أمر ابن الزبير بمكة[٢] .

أما أهل المدينة فقد كان رد فعلهم عنيفاً حينما سمعوا بخبر استشهاد الإمام الحسين ﷺ ، إذ خلعوا الطاعة عن يزيد وقاموا بإخراج بني أمية من المدينة ومن يرى رأيهم من قريش ، وطردوا واليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان عامل يزيد بن معاوية منها[٣] ، ثم ولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الأنصار عبد الله بن حنظله[٤] ، وأعلنوا تأييدهم لابن الزبير وكاتبوه يعلمونه أنه ليس هناك من ينازعك في هذا الأمر[٥] .

ولما بلغ يزيد بن معاوية أخبار أهل الحجاز قام بإرسال وفد لمقابلة عبد الله بن الزبير ودعوته إلى الصلح ، غير أن تلك المفاوضات لم تصل إلى نتيجة ، كما واتضح له أن الأمور في المدينة تسير من سيء إلى أسوأ بتحريض ابن الزبير[٦] ، وإزاء ذلك قام يزيد بإرسال جيش من اثني عشر ألف مقاتل ، وقيل : خمسة آلاف لإخضاع الحجاز تحت السيطرة بقيادة مسلم بن عقبة المري ، فوصل ذلك

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٥ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٠٠ .

(٢) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٦٤ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٨٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢١١ .

(٤) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص١٢ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٢٤ .

(٥) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٠٥ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٧٥ .

(٦) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص٢٤٧ ؛ الجميلي ، الدولة العربية الاسلامية ، ص٦٨ .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الجيش شرق المدينة في ذي الحجة سنة (٦٣هـ/ ٦٨٢م) ، ونزل الحرة – على بعد ميلين من المسجد النبوي – فخرج أهل المدينة يحاربونه[١] ، فدعاهم مسلم إلى الطاعة وأمهلهم ثلاثة أيام ، غير أن أهل المدينة رفضوا ذلك ، فنشب القتال واستطاع مسلم من اقتحام المدينة وإخضاعها تحت السيطرة ، ثم أباح المدينة ثلاثة أيام كما أمره يزيد بن معاوية ، فأسرف هو وجنده في قتل خلق كثير من أشرافها وقرائها[٢] .

ثم توجه ذلك الجيش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير ، وفي الطريق مات مسلم بن عقبة فتولى قيادة الجيش الحصين بن نمير السكوني ، فوصل مكة سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) وتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام في جميع من كان معه[٣] ، وحاصر أهل الشام مكة حصاراً شديداً وضيقوا عليهم طيلة الشهور الأربعة الأولى من سنة (٦٤هـ/ ٦٨٤م) ، وبينما كان القتال دائر بين الطرفين وصل خبر وفاة يزيد بن معاوية فتوقف القتال[٤] ، وأرسل الحصين إلى ابن الزبير يطلب مهادنته وقال له : " أن يكُ هذا الرجل قد هلك (يقصد به يزيد) فأنت أحق الناس بهذا الأمر ، هلم فلنبايعك ، ثم أخرج معي إلى الشام ، فإن هؤلاء الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم ، فو الله لا يختلف عليك اثنان ،

---

(١) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢٥٥ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٤٩ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣١٤ ؛ السمهودي ، نور الدين علي بن أحمد ، (ت٩١١هـ) ، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى ، تحقيق : محمد محي الدين ، ط١ ، مطبعة الآداب ، (القاهرة – ١٩٥٠م) ، ج١ ، ص١٠٢ .

(٢) البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص٣٣٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٤٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٣١٤ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٢٠ .

(٣) الدينوري ، الأخبار الطوال ، ص٢٦٧ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٦٧ .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

وتؤمن الناس وتهدر الدماء التي كانت بيننا وبينك ، والتي كانت بيننا وبين أهل الحرة[١] ، غير أن ابن الزبير رفض ذلك بشدة بسبب ما أصاب أهل المدينة من القتل على يد مسلم بن عقبة ، ورد على ذلك قائلاً : " لا والله لا أفعل حتى أقتل بكل رجل منهم عشرة[٢] ، فرد عليه الحصين قائلاً : " قبح الله من يعدك بعد هذا داهياً ، أكلمك سراً وتكلمني جهراً ، أدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة[٣] ، وعلى أثر ذلك تركه الحصين وانصرف مع جيشه إلى الشام[٤] .

بعد وفاة يزيد بن معاوية اضطربت أحوال بني أمية على أثر تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة ، إذ أصبح منصب الخلافة شاغراً ، وعلى ذلك بايعت معظم أقاليم الدولة العربية الإسلامية عبد الله بن الزبير بالخلافة ما خلا الجابية والأردن ، وبذلك أصبح ابن الزبير الخليفة الشرعي وعين الولاة على الأقاليم[٥] ، غير أن تطورات الأحداث السياسية في بلاد الشام سارت في غير صالح عبد الله بن الزبير ، إذ اجتمع بنو أمية في الجابية سنة (٦٤هـ/ ٦٨٣م) واختاروا مروان بن الحكم خليفة للمسلمين[٦] ، واستطاع مروان سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م) من إحكام سيطرته على بلاد الشام ، ثم سار إلى مصر واستعادها من عبد الرحمن بن جحدم الفهري عامل ابن الزبير واستعمل ابنه

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣٤.

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠٢ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٠٢ .

(٤) المصدر نفسه ، ج٥ ، ص٥٠٢ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٢٣ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص١٤٥-١٤٨ .

(٦) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٣٠ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣١.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

عبد العزيز والياً عليها ثم عاد إلى دمشق[1] ، ومن هناك أرسل حملتين ضد ابن الزبير ، فكانت الحملة الأولى نحو العراق بقيادة عبيد الله بن زياد لكنها انشغلت بقتال زفر بن الحارث الكلابي أحد المعارضين للحكم الأموي[2] ، أما الحملة الأخرى توجهت نحو الحجاز غير أنها منيت بهزيمة على يد ابن الزبير[3] ، وهكذا فإن هاتين الحملتين لم تحققا أهدافها في عهد مروان بن الحكم الذي وافاه الأجل سنة (٦٥هـ/ ٦٨٤م)[4] .

خلف عبد الملك بن مروان أباه في الحكم الذي ما أن استقامت له الأمور في بلاد الشام حتى سار بنفسه على رأس جيش كبير نحو العراق سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م) لاستعادته من مصعب بن الزبير عامل أخيه عبد الله على العراق ، فنزل مسكن[5] ، وسار مصعب بجيشه ونزل باجميرا[6] ، فكان بين العساكر ثلاثة فراسخ[7] ، وبادر عبد الملك بالاتصال ببعض القادة الذين كانوا

---

(١) ابن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٦١-١٦٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٣ ، ص١٣ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٥٣٠-٥٣٣ ؛ ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج٨ ، ص٢٥٥ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم ، ج٦ ، ص٣٧.

(٣) اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج١ ، ص٢١٢ ؛ الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٥ ، ص٦١١؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٢٧٣ .

(٤) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص٦٧٢ ؛ البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج٥ ، ص١٠٥.

(٥) مسكن : موضع قريب من أوانا على نهر الدجيل ، ينظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج٥ ، ص١٢٧ .

(٦) باجميرا : موضع دون تكريت الى الموصل ، ينظر : ابن عبد الحق ، مراصد الاطلاع ، ج١ ، ص١٤٧ .

(٧) الفرسخ : ثلاثة أميال ، والميل ١٦٢٠م ، وبذلك تكون المسافة بين الجيشين تقريباً ١٤.٥٨٠كم ينظر : المهلبي ، الحسن بن احمد (ت٣٨٠هـ) ، المسالك والممالك ، تحقيق : تيسير خلف ، (بلام – بلات) ، ص١٩ .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

مع مصعب لاستمالتهم للوقوف إلى جانبه ووعدهم بالولايات والأعطيات، وكان إبراهيم بن مالك الاشتر ممن راسلهم، فجاء بالكتاب إلى مصعب دون أن يفتحه فقرأه مصعب فإذا هو يدعوه إلى نفسه ويجعل له ولاية العراق، ثم اخبر مصعب أنه لم يبق أحد من أمرائك إلا وقد جاءه كتاب مثل هذا، واقترح عليه قتل هؤلاء القادة الخونة جميعاً لكن مصعب رفض ذلك[1]، وعندما تقابل الجيشان بدير الجاثليق[2] سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)، بدأ القتال وانتهت المعركة بهزيمة مصعب بعد مقتله مع عدد كبير من أتباعه وعلى رأسهم إبراهيم بن الاشتر، وبذلك دانت العراق لعبد الملك بن مروان وعين أخاه بشر بن مروان والياً عليه سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م)[3].

لم يبق أمام عبد الملك سوى عبد الله بن الزبير في مكة، فوجه إليه الحجاج بن يوسف الثقفي في ألفين، ويقال: خمسة آلاف من أهل الشام[4]، وكان يحمل معه آماناً من عبد الملك بن مروان لعبد الله بن الزبير ومن معه إن دخلوا في طاعته، فسار الحجاج بذلك الجيش سنة (٧٢هـ/ ٦٩١م) حتى نزل الطائف ثم

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٥٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٧٨.

(٢) دير الجاثليق: أول أرض تكريت غربي دجلة، ينظر: البكري، أبو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت٤٨٧هـ)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواقع، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، عالم الكتب، (بيروت - ١٤٠٣هـ)، ج٢، ص٥٧٢.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال، ص٣١٣؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج٧، ص٩٠؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٥٧-١٥٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٧٨-٣٧٩.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ج٥، ص٣٥٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٦، ص١٧٤؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص٣٩٩.

تم المسح الضوئي بـ CamScanner

توجه نحو مكة ، ولم يخرج ابن الزبير لمواجهته بل تحصن بالحرم المكي[١] ، وبذلك حاصر الحجاج بن يوسف عبد الله بن الزبير في مكة ونصب المجانيق على جبل أبي قبيس المطل على مكة وبدأ يضرب ابن الزبير في الحرم المكي ، واستمر ذلك الحصار نحو ستة أشهر ، وقيل : ثمانية أشهر ، عانى فيها ابن الزبير وأتباعه كثيراً بسبب نقص المواد الغذائية[٢] ، وقد ترتب على تردي الأحوال داخل مكة أن تفرق عن ابن الزبير أصحابه لاسيما بعد إعطاء الحجاج الأمان لكل من ترك القتال وانسحب من جيش ابن الزبير ، فتخلى عنه عدد كبير من أتباعه حتى بلغ عدد من التجأ إلى الحجاج نحو عشرة آلاف ، وكان ممن فارق ابن الزبير أبناءه حمزة وخبيب[٣] ، وهكذا بقى ابن الزبير في عدد قليل من أتباعه فخرج وقاتل حتى قتل مع عامة مؤيديه في سنة (٧٣هـ/ ٦٩٢م)[٤] ، وبذلك انتهت حركة عبد الله بن الزبير التي تعد آخر حركات المعارضة السياسية في إقليم الحجاز خلال العصر الأموي ، واستقر الأمر لعبد الملك بن مروان بعد أن أسندت ولاية الحجاز الى الحجاج بن يوسف الثقفي[٥] .

---

(١) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣١٣ .

(٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٧ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ .

(٣) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠٠ .

(٤) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٨ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ، ص٤٠١ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ، ج٥ ، ص٣١٤ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج٦ ، ص١٨٩-١٩٢ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٣ ص٣١٥-٣١٧ .

تم المسح الضوئي بـ CamScanner